

## الإسلاموفوبيا

دكتور/ إبراهيم بن محمد الدوسري

الأستاذ المشارك بقسم العقيدة  
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية  
جامعة القصيم

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]. أما بعد:

فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَنْ أُتَّبِعَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]، فالعداوة من هؤلاء قائمة منذ ظهور الإسلام<sup>(١)</sup>، ومن ثم تشكلت هذه العداوة بشكل دائم، وتمثلت فيما يسمى بظاهرة الإسلاموفوبيا، الذي أصبح الهاجس الأكبر للرجل الغربي.

(١) تمثلت هذه العداوة في المؤامرات التي حبكها اليهود، ويأتي في قمة هذه المؤامرات في غزوة الأحزاب، وفي محاولاتهم المتعددة لقتل النبي ﷺ، انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢١٤-٢٢٧، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ -

ولهذا أصبح من المعتاد أن تكتب المقالات وتنتشر الكتب حول ما يعرف بهذه الظاهرة، وهذا الأمر يبدو في ظاهره أمراً طبيعياً، بالنظر إلى المد الإسلامي سواء أكان بزيادة الوعي في البلاد الإسلامية ذاتها أم بانتشار الإسلام في مواقع جديدة وفي مناطق مختلفة من العالم، لكن هذا الأمر تحول مع مرور الوقت إلى تناول الموضوع بروح عدائية ملفتة حتى حظيت بمصطلح لتوصيفها وهو مصطلح الإسلاموفوبيا، وصار من المعتاد أيضاً ربط تناول الظاهرة الإسلامية بالخوف من الإسلام نفسه، ولعل الأمر الملفت هنا هو أن هذه الظاهرة ليست مقصورة على الغرب وحسب كما يروج لها. بل إننا أمام حالة يمكن تسميتها بعولمة الإسلاموفوبيا، حتى أضحت تشمل حتى العالم الإسلامي، وهو أمر مستغرب بالنظر إلى كون الإسلام هو روح الأمة نفسها، فكيف تتقلب الأمة على نفسها وتصير إلى معاداة عمود وجودها؟ نقول هذا بالنظر إلى كون قطاع معتبر من جماهير المسلمين أصبح مشمولاً بهذه الظاهرة، وهو ما خلق توترات داخل كيان الأمة، كان التعبير عنه بظهور التناحر الداخلي في بنية الأمة الواحدة.

وقد كثرت الدراسات حول هذه الظاهرة، وبلغت حدا يصعب حصره، على أنها في جملتها تتجه اتجاهاً تسطيحياً في تقديرنا في أغلب الأحيان، من قبيل ربط الظاهرة بالصراعات السياسية والاقتصادية الراهنة، وبالتالي عزلها عن سياقاتها التاريخية والمعرفية، وهو ربطٌ نحسبه ليس موفياً لحق الظاهرة من البحث، بل إنه أحياناً يشكل عائقاً معرفياً يمنع من الغوص في هذه الظاهرة لمعرفة جذورها، على اعتبار أن لها أسساً تنطلق منها، تتجاوز الصراعات السياسية والاقتصادية الآنية الظاهرة، وإن كانت بين وقت وآخر توظف لغايات سياسية واقتصادية، على معنى استعمالها ورقة رابحة تخرج متى دعت الحاجة إليها.

فظاهرة الإسلاموفوبيا ومع أنها: «لا ترجع إلى إدارة بعينها، أو أحد المفكرين أو الفلاسفة أو النشطاء، أو إلى أي منفذ إعلامي، أو مجموعة مصالح خاصة، أو مركز أبحاث، أو حتى قطاع اقتصادي أو صناعي، هذا على الرغم من أن كل هؤلاء مسؤولون بأسلوب جمعي عن نشر التتميطات الخبيثة المعادية للمسلمين والمعادية للعرب، وعن تداول تلك المعتقدات من أجل تطبيع هيمنة الولايات المتحدة الاقتصادية والسياسية على الكوكب وتبريرها»<sup>(١)</sup>.

(١) ستيفن شبيهي، الإسلاموفوبيا؛ الحملة الإيديولوجية ضد المسلمين، ترجمة: فاطمة نصر، سطور للنشر، القاهرة ٢٠١٢،

وإذا كانت ظاهرة الإسلاموفوبيا لا ترجع إلى جهة بعينها، فإن هذا يشير إلى كونها تضرب بجذورها في أعماق العلاقات التاريخية بين المسلمين وبين غيرهم وخاصة المسيحيين واليهود.

وهذا البحث يرمي إلى التنبيه إلى هذه الأسس، مع محاولة استعراض بعضها وسبر غورها من أجل الوصول إلى فهم أسلم لهذه الظاهرة، وعدم الاكتفاء بما يروج بشأنها بصورة تعزلها عن سياقاتها العقديّة والفلسفية، كما تحاول أن تتعرف إلى أسباب ظهورها في العالم الإسلامي، من هذا المنظور يمكن حصر الموضوع في الآتي:

**أهمية البحث:**

- ١- لما كانت الإساءة للمسلمين تظهر كل يوم بأشكال متعددة، تتداولها وسائل الإعلام كلها في الشرق والغرب، كان من الأهمية بمكان البحث حول هذه الظاهرة التي أصبحت حديث الساعة.
- ٢- أن الأمر وصل بالدول الكبرى -وخاصة أمريكا- إلى اعتبار كل مسلم إرهابياً، وجعلوا الدين الإسلامي ديناً إرهابياً، فيأتي هذا البحث لتجلية هذا الأمر، وبيان أن الإسلام دين السماحة والسلام، وأن الإرهاب منبعه غير المسلمين.
- ٣- هذه العداوة القائمة بين الإسلام واليهودية والنصرانية حدثنا القرآن الكريم عنها بقوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾، وقد تأصلت هذه العقيدة عند النصارى في زمننا المعاصر باسم جديد وهو ما يسمى بظاهرة الإسلاموفوبيا، فكان لزاماً على المسلمين التصدي لهذه العقيدة الجديدة، وإحياء عقيدة الولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين، كقوة عقديّة مناهضة لهذه الظاهرة الجديدة.

**أسئلة البحث:**

- ما المقصود بالإسلاموفوبيا؟ وما مظاهرها وتجلياتها؟.
- ما أسسها العقديّة والفلسفية التي تقف وراء ظهورها في الغرب؟.
- ما العوامل التي ساهمت في ظهورها على هذه الصورة لدى الغرب؟.
- هل من الممكن الحديث عن سبيلٍ لتجاوزها أو للحد منها على الأقل؟.

**خطة البحث:**

تشتمل على مقدمة، وثلاثة مباحث.

- المقدمة: وتشمل أهمية البحث، وأسئلته، وخطته.
- المبحث الأول: مفهوم الإسلاموفوبيا، وملابسات ظهورها.
- المبحث الثاني: عوامل ظهور الإسلاموفوبيا في الغرب.
- المبحث الثالث: مقترحات لتجاوز الظاهرة.
- الخاتمة: وفيها نتائج البحث.
- الفهارس: وتشمل:
- فهرس الموضوعات.
  - فهرس المصادر والمراجع.

## المبحث الأول

## مفهوم الإسلاموفوبيا وملابسات ظهورها

يستخدم علماء الاجتماع مثل فيلهلم هايتماير مصطلح الإسلاموفوبيا جنبا إلى جنب مع ظواهر مثل العنصرية<sup>(١)</sup>، وكراهية الأجانب ومعاداة السامية<sup>(٢)</sup>، أو حتى ظاهرة كراهية مجموعات من الناس كما هو الحال أن تكون في موقف سلبي من عامة الشعب المسلم ومن جميع الأديان والرموز الدينية وممارسات الشعائر الإسلامية<sup>(٣)</sup>.

وهو مصطلح جديد لمعنى قديم يؤدي إلى خوف لاشعوري وغير مبرر من مواقف أو أشخاص أو نشاطات أو أجسام معينة، وهو بذلك يصنف كمرض نفسي ينبغي علاجه. ومن أشكال هذا المرض: الخوف من الأماكن والمناطق (Claustrophobia) المرتفعة.

وعند إضافة هذه الكلمة إلى الإسلام مشكلة (إسلاموفوبيا) يصبح المعنى: «خوف مرضي غير مبرر، وعداء ورفض للإسلام والمسلمين».

ويشير هذا المصطلح كذلك إلى النتائج العملية المترتبة على هذا العداء، سواء تجاه الأفراد أو المؤسسات. وهو تعريف قد يعتبر غير دقيق؛ لأن الأمر هنا لا يتعلق بمرض أصاب المجتمع الغربي، وإنما هو ظاهرة لها أسبابها السياسية والاجتماعية، لكن يبقى أن هذا المصطلح يعبر عن المشاعر السلبية التي تحتاح المجتمع الغربي تجاه المسلمين، مشاعر تترجم سلوكيات مجحفة في حق الإسلام والمسلمين<sup>(٤)</sup>.

(١) يمكن تعريف العنصرية بطرق مختلفة، ولكن يتفق الجميع على أن العنصرية هي شعور يبيد الشخص تجاه شخص أو فئة معينة من الناس على أساس انتمائهم العرقي، أو الديني، وكثيرا ما يكون هذا الشعور مصحوبا بكره أو عداء. أيضا يمكن أن يمتد ذلك الشعور إلى أبعد من ذلك، ويصل إلى تعامل أو تصرفات عنصرية، كاستعمال العنف، أو الإكراه أو المنع من حق ما. من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

(٢) معاد (أو أصل). في سنة ١٨٧٩م أسس رابطة المعادين للسامية من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

(٣) انظر: لبعض الكلمات المتعلقة (كراهية مجموعات من الناس ذات صلة فيما بينها) ومصطلح

„Islamophobie“ لدى Institut für interdisziplinäre Konflikt- und Gewaltforschung

(٤) انظر: TACKLING www.nasuwat.org.uk <http://www.nasuwat.org.uk> HYPERLINK

ISLAMOPHOBIA Advice for Schools and Colleges p: ٣ HYPERLINK <http://www.plunder.com/ Islamophobia-and-its-Consequences-on-Young-People-pdf-> http://www.plunder.com/ Islamophobia-and-its-Consequences-on-Young-People-pdf- p: ٦

انظر: <http://www.runnymedetrust.Org> HYPERLINK.

وهكذا تتعدد التوصيفات، وتختلف التعريفات لما صار يعرف بـ(الإسلاموفوبيا)، وأغلب التعريفات التي تساق تتفق في مجملها على اعتبار الإسلاموفوبيا حالة من الرهاب، وتذهب إلى القول بأنه مرض نفسي يمثل رد الفعل تجاه الإسلام. غير أن هذه التوصيفات وإن كان فيها شيء غير قليل من الصواب، إلا أن الأمر الذي نراه هو أن هذا الخوف ليس مرده إلى ما يزعم نسبته إلى الإسلام، بل بالدرجة الأولى مرده إلى الجهل، فمن جهل شيئاً عاداه، بمعنى أن تعريف الإسلاموفوبيا من الأجدر أن يدخل فيه عنصر الجهل، كأن يقال: إن الإسلاموفوبيا خوف من الإسلام ناتج عن الجهل.

وعلى أي حال فإن ما يهمننا هو النتائج المترتبة على الجهل أو التجاهل المقصود، وما يعيننا هو هذا الرهاب وما نتج عنه من الترهيب الذي صار سمة غالبية في علاقة الغرب بالإسلام، بل حتى علاقة بعض المسلمين بالإسلام أيضاً.

ومن المناسب الإشارة هنا في هذا المقام إلى الاعتقاد السائد الذي يرى بأن ظاهرة العداء للإسلام حديثة الظهور، ومنهم من يربط بينها وبين أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م، وهو ربط يبدو قاصراً، إلا إذا أريد بهذا الربط التأكيد على اشتداد الظاهرة في العقدين الأخيرين واستغلالها استغلالاً واضحاً لتحقيق أهداف سياسية واقتصادية، وهو خيار اتخذته القوى العظمى لبطس هيمنتها بصورة كبرى.

والحق أنه ليس هناك مرحلة زمنية في التاريخ الأوروبي أو الأمريكي، منذ العصور الوسطى وحتى الآن، نوقش فيها الإسلام عموماً أو بحث خارج نطاق المصالح السياسية والتحيز والعاطفة. ولقد مثل الإسلام ليس فحسب باعتباره منافساً مرعباً ومخيفاً ولكنه أيضاً تحدياً للمسيحية. وعلى امتداد العصور الوسطى والفترة المبكرة من عصر النهضة، كانت النظرة إلى الإسلام على أنه ديانة الردة والتجديف والظلمة. ولقد تمت تغطية المسلمين في العصر الحديث باعتبارهم إرهابيين أو موردي بترول<sup>(١)</sup>.

وهي صورة تسهم وسائل الإعلام الحديث - بالنسبة للإسلام على الأقل - في تغذيتها، وذلك عن طريق اختيار الكلمات أو التعبيرات أو الصورة، أو حذف المعلومات وتشويهها، مركزة على تقديم صورة للمسلم المحارب والعدواني الذي يهدد الحضارة الغربية وقيمتها.

وهي لا تعبر عن جهل بقدر ما تعبر عن منهج في المعرفة، يعيد بناء الآخر الذي يُنظر إليه على أساس أنه النقيض؛ لكي يتمكن بعد ذلك على نحو مفصل، يعبرون - حسب هذه الصورة المصنوعة- عن الإرهاب، والبداءة، والتطرف، والبترو دولار، والديكتاتوريات العسكرية، والحروب الأهلية، في حين أن الغرب يعني: الديمقراطية، وحقوق الإنسان، والتسامح، والمدنية .

لقد ظلت أوروبا منذ بداية تاريخها المكتوب تنظر إلى جيرانها في الشرق بشيء من الخوف، ومن الجشع أحياناً، ومن المفضول أحياناً، ومن الاضطراب في أحيان أخرى، وعلى مدى قرون كانت العلاقات بينهما تمثل نوعاً من الغزو والغزو المعاكس. وبالنظر إلى الأدبيات التي تم توظيفها في الدعوة إلى معاداة الإسلام والمسلمين يتبين أن جذور الظاهرة ضاربة في التاريخ، ومن السهولة استحضار النماذج الدالة على العداء الشديد الذي حكم علاقة النصارى واليهود بالمسلمين والإسلام.

وقد حكى القرآن الكريم هذه العداوة ونهى موالاتهم واتخاذهم بطانة فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوًّا مَا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨) هَآأَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَنَّا وَعُمِلَ عَلَيْهِم مِّنَ الْغِيظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١١٩) إِن تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَّرْحَمُوا بِهَا وَإِن تَصِيرُوا وَتَقْوُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّا اللَّهُ بِمَا يَعْملُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١١٨-١٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْد أَنفُسِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْقُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وهذا على الرغم من وجود نماذج أخرى من التعايش بين الملل الثلاث خاصة في الأندلس، حيث سجل التاريخ صفحات مضيئة من تسامح الإسلام مع اليهود والنصارى قل نظيره في تاريخ الإنسانية أجمع، لكن الملاحظة الجديرة بالذكر هنا هي أن صور التسامح الكثيرة التي عرفتها علاقة المسلمين بغيرهم كانت في الفترات التي كانت فيها الحضارة الإسلامية قوية، بمعنى أن هذا التسامح في أجلي صورته كان من المسلمين أولاً ثم بمشاركة النصارى واليهود ثانياً، ذلك أن الفترات التي عرفت ضعف المسلمين

لم تعرف هذا التسامح إلا في القليل النادر إن لم نقل: إنها لم تعرف التسامح أصلاً، والأمثلة على ذلك كثيرة والتاريخ غني بالشواهد.

وأقرب الشواهد على ذلك تلك الحوادث المريعة التي جسدتها المذابح الكثيرة التي نفذها الصليبيون عندما دخلوا إلى القدس، أو عندما دخلوا أنطاكيا، أو محاكم التفتيش في الأندلس بعد سقوطها في أيدي النصارى بعد حروب الاسترداد كما سموها، فكتب التاريخ تذكر أن الصليبيين لما دخلوا القدس قاموا بمجازر فظيعة، وتدين وقائع هذه المجازر هو مما تلاقى عليه مؤرخو المسلمين ومؤرخو الحملات الصليبية، وهذه المجازر مما اتفقوا على وصفها بالفظاعة أيضاً.

ومما يذكر في وصف ما حدث في القدس، ما ذكره المؤرخ الصليبي وليم الصوري حيث قال: «شهدت أرجاء القدس مذبحه فظيعة وشنيعة، وكان الدم المسفوك مخيفاً، حتى إن المنتصرين أنفسهم ساورهم الإحساس بالخوف، وشعروا بالاشمئزاز...»<sup>(١)</sup>، وما قيل فيما وقع في القدس قيل مثله بل وأكثر فظاعة منه فيما حدث للمسلمين في مدينة أنطاكيا.

هذه بعض الصور المأخوذة من التاريخ التي يمكن تقديمها وجهاً من وجوه صناعة الإسلاموفوبيا عبر التاريخ، على أن تجلي هذه المعادة في وقتنا الحالي أصبح أشد مما كان عليه في الماضي، ففي هذا العصر شهدت بعض البلاد الإسلامية مجازر فظيعة في فلسطين، وأفغانستان، والبوسنة والهرسك، والعراق وغيرها من بلاد المسلمين.

وفي القرن العشرين أصبح الشرق (الإسلام) محلاً آخر جديراً بالاهتمام، ولكن من زاوية جديدة، فالعلاقة بين الإسلام والغرب تشكل محوراً أساسياً في دوائر السياسة الخارجية الأوروبية في فترة ما بعد الحرب الباردة، فعلى الرغم من تزايد النفوذ الأوروبي، فإن الإسلام مازال في الوعي الأوروبي مصدر التهديد والخوف والرعب<sup>(٢)</sup>، وعلى حد تعبير أحد الباحثين فقد «ساد تصور قوي ومستمر في أوقات ما، بأن مصير أوروبا معلق في الميزان.

(١) وليم الصوري، نقلاً عن: حاتم الطحاوي فعلوها قبل اليهود: الصليبيون يستولون على القدس، مجلة العربي، العدد ٤٩٥، الكويت ٢٠٠٠م.

(٢) See, Kate Zabiri, Muslims and Christians, face to Face, Oxford, England, ١٩٩٧, p. ١.



إن صورة الأتراك على أبواب فيينا أصبحت عنصرًا ثابتًا وملزمًا في التحليلات الغربية المعاصرة عن الانقسامات التي عادت إلى الحياة من جديد بين المسلمين والمسيحيين<sup>(١)</sup>. أضف إلى ذلك ذكرى معركة (شارل مارتل) في (ثوربواتيه) التي تحتفل أوروبًا بذكرها إلى اليوم<sup>(٢)</sup>.

لقد أشار ليون ت هيدار Leon T.Hadar في العقد الأخير من القرن الماضي إلى أنه من الداخل ومن الخارج هناك أصوات تدعو إدارة الرئيس كليبتون إلى أن الولايات المتحدة يجب عليها بعد موت الشيوعية أن تجهز نفسها لمواجهة تحديد عالمي جديد: هو الإسلام المتطرف في الشرق الأوسط، فإذا كان الخطر الأحمر قد انتهى بنهاية الحرب الباردة، فهناك خطر أخضر، واللون الأخضر هو لون الإسلام، الذي يوصف بأنه سرطان ينتشر في أرجاء العالم كله<sup>(٣)</sup>.

وفيما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر جرى بحث هذه المسألة على نحو جاد وعنيف بين المعلقين السياسيين وصناع السياسة الخارجية الأمريكية، وإن كانوا قد تجاهلوا مجموعة من الأسباب الحقيقة التي تشير إلى أن الإسلام ينظر إليه منذ وقت طويل على أنه العدو الأساسي لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية، وخصوصًا في الشرق الأوسط، فعملية اصطناع عدو جديد مثل معمة الحركة في أوائل التسعينات سياسيًا، ولقد أشار إلى ذلك Lron T.Haedr موضحًا أن السياسة الأمريكية تتجه إلى اعتبار الإسلام تهديدًا للسياسة الخارجية الأمريكية من الناحية الموضوعية<sup>(٤)</sup>، وفي عام ١٩٩١م أشار ليند بروفيسييد Lind prophesied إلى أن في القرن الحادي والعشرين من الممكن أن نجد الإسلام على أبواب فيينا بالهجرة أو الإرهاب إن لم يكن بالجيش<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: جراهام، أي فولر، وأيان أو . ليسر، الإسلام والغرب، بين التعاون والمواجهة- ترجمة: شوقي جلال، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ١٩٩٧، ص٢٨-٢٩.

(٢) انظر: برنارد لويس، الإسلام والغرب، ص١٥.  
(٣) See, What Green Pril, in foreign affairs "Vol,٧٢, Spring, ١٩٩٣.

(٤) See <http://www.medoamonitors.net/mosaddeq12.htm>, ٣٠/٢١/٢٠٠٢, p.١٠. What Green Pril, in "foreign affaies" Vol,٧٢, Spring, ١٩٩٣.

(٥) See, Roxanse L. Euben, Enemy in the Mirror, Islamic Fundantalism and the limits of mofern rationalism, A worked of comparative political theory, Princeton University press, ١٩٩٩, p,٧.

فعلاقة الصراع والمواجهة والتنافس بين الإسلام والغرب بقيت ممتدة من ظهر الإسلام في القرن السابع إلى وقتنا الحاضر، وهناك صورة سلبية رسمت للإسلام منذ البدايات الأولى، وهناك منهج ما تستخدم به هذه الصورة، وهي رؤية سلبية مازالت تمارس سلطتها الفكرية على الرؤية الغربية للإسلام حتى الآن، ولقد أشار برنارد لويس إلى هذا الصراع بين الإسلام وأوروبا، قائلاً: «يجب أن يكون واضحاً الآن أننا نواجه تياراً وحركة تتجاوزان بكثير مستوى القضايا والسياسات والحكومات التي تلاحقهما، إن هذا ليس شيئاً أقل من صراع الحضارات، إنه رد فعل -ربما غير عقلاني- لكنه تاريخي لمنافس قديم موجه ضد ميراثنا اليهودي -المسيحي، وضد حاضرنا الراهن، وضد امتدادها العالمي»<sup>(١)</sup>.

وهذا بالنظر إلى منظومة القيم الإنسانية التي يتم الترويج لها في الغرب بصورة عامة، لكن الظاهر أن هذه المنظومة يتم تعطيل فاعليتها عندما يتعلق الأمر بالإسلام والمسلمين، ويمكن إجمال أهم المظاهر الدالة على معاداة الإسلام والمسلمين، وبالتالي إيجاد مبرر للخوف فيما يأتي:

#### أولاً: الترويج لمقولة عدوانية الإسلام وعدم قبوله للآخر:

وهي مقولة يكثر الترويج لها على كل المستويات، ليس على المستوى السياسي والإعلامي فحسب، بل وعلى المستوى الفلسفي أيضاً، ويمكننا هنا الإشارة إلى ما ذكره (كلود ليفي ستروس)<sup>(٢)</sup>، حيث قال في معرض حديثه عن الإسلام: «إنّ الإسلام دين كبير لا يرتكز على بدهاة الوحي بقدر ما يرتكز على عجزه عن إقامة علاقات طبيعية مع الخارج.

ففي مواجهة الطبيعة الكونية للبوذية، وفي مواجهة الرغبة المسيحية في الحوار، نلاحظ أنّ التعصّب الإسلامي يتخذ صيغة لا واعية لدى أتباعه. أقصد بذلك أنّهم إذا كانوا لا يحاولون دائماً وبشكل عنيف إجبار الآخرين على اعتناق دينهم أو حقيقتهم إلا أنّهم، وهذا أخطر، يبدون عاجزين عن تحمّل وجود الآخر كأخر. بمعنى آخر فإنّ

(١) جذور السخط الإسلامي في (الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية)، دار الجبل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ص ٣٠.

(٢) عالم أنثروبولوجي فرنسي (١٩٠٨-٢٠٠٩م)، ينتمي إلى عائلة من البرجوازية الفرنسية اليهودية المتنفذة، من أهم كتبه الأبنية الأولية لعلاقات القرابة (١٩٤٩م)، وكتاب الأنثروبولوجيا البنوية (١٩٥٨م)، عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مادة: كلود ليفي شتراوس.

وجود البوذي أو اليهودي أو المسيحي أو الهندوسي الخ.. يشكل فضيحة بالنسبة لهم. والواقع أنّ الطريقة الوحيدة لكي يضعوا أنفسهم بمنأى عن الشك والإذلال تكمن في إعدام الآخر. لماذا؟ لأنّ مجرد وجوده يعتبر دلالة على إمكانية وجود إيمان آخر، أو اعتقاد سلوك آخر في الحياة.

وهذا شيء يصعب عليهم أن يطيقوه. إنه أكبر من قدرتهم على التحمل. وهنا تكمن مشكلتنا مع الإسلام والعالم الإسلامي. ينبغي العلم أن الأخوة الإسلامية هي عبارة عن رفض مطلق للآخر، أي لغير المؤمنين بالإسلام. ولكنه رفض ضمني لا يصرح بذاته حقيقة؛ لأنّه إذا ما صرح به فإن ذلك يعني أنه يعترف بالآخرين كأشخاص موجودين على الأقل<sup>(١)</sup>.

لقد تشكلت في العقل الأوربي صورة سلبية مشوهة للإسلام، فهو رمز للرعب والدمار والتخريب والهمجية، وهي كلها تصورات غريبة أنتجها العقل والخيال الأوربيّان، تلك التصورات التي هيمنت على الوعي الأوربي حتى وقتنا الحاضر، فلقد ورثت الحضارة الغربية تركة العصر الوسيط فيما يتعلق بالنظرة إلى الآخرة، الإسلام، وإذا كان دانتلي قد أفرد للفيلسوفين المسلمين ابن سينا وابن رشد مكاناً في (اللمبو) الذي جمع فيه كل الخيرين من غير المسيحيين في حجميه، فإنه وضع النبي صلى الله عليه وسلم وابن عمه على بن أبي طالب رضي الله عنه في الخندق التاسع من الحلقة الثامنة (في الجحيم الدانتلي) الذي يضم مثيري الصدمات والانشقاقات الدينية والسياسية، ولقد ظهر محمد صلى الله عليه وسلم بعد المسيحية، فحمل بذلك إلى العالم انقساماً جديداً، أما علي (رضي الله عنه) فقد انقسم الإسلام في عهده وشق صفوفه.

ولقد أشار إدوارد سعيد إلى طبيعة التصور الغربي للشرق الذي لم يكن في الحس الأوربي الآخر الخارجي فحسب، بل كان امتداداً للشاذ والمنحرف، فمحمد صلى الله عليه وسلم يطلب من دانتلي كما يصور له خياله - أن يحذر رجلاً اسمه فرادولشينو، وهو قسيس مرتدّ دعا أصحابه إلى المشاركة في النساء والممتلكات، فدانتلي هنا يرى تطابقاً بين الميول الشهوانية التي زعمها للنبي محمد صلى الله عليه وسلم وشهوات فرادولشينو، وكذلك بين ادعائهما مكانة دينية بارزة، وبالتالي تشكل تمييزات دانتلي وإدراكاته للإسلام مثلاً على

(١) هاشم صالح، مئوية كلود ليفي ستروس، كلود ليفي ستروس والإسلام، جمعية الأوان.

الحمية الكونية التي يصبح فيها الإسلام وممثلوه مخلوقات أنتجها الفهم الغربي بالجغرافي والتاريخي، وفوق كل شيء الأخلاقي<sup>(١)</sup>.

هذه هي الصور التي يروج لها في أوروبا وفي الغرب بصورة عامة عن الإسلام، وهي صورة يقوم على نشرها فلاسفة كبار من أمثال ليفي شتروس الذي يفترض فيه أن يكون منصفاً أكثر من غيره بحكم تربيته للموضوعية في البحث، ولكن الظاهر أن يهوديته وعداوته التاريخية الموروثة هي التي كانت لها الكلمة العليا في هذا الشأن.

والفقرة السابقة للفي شتروس يظهر من خلالها تأكيده على عدوانية المسلمين انطلاقاً من كون الجهاد فرضا دينياً عليهم.

وهذه الفكرة واحدة من الأفكار التي روج لها المستشرقون، واتخذوا منها حجة في الطعن على الإسلام والمسلمين، حتى تأثر بهم كثير من المسلمين، وظهر من بينهم من يدعو إلى التخلي عن هذه الفريضة، والاحتلال الإنجليزي للهند هو من يقف وراء ظهور القاديانية<sup>(٢)</sup>، التي دعت إلى إسقاط فريضة الجهاد.

#### ثانياً: تصوير المسلم في صورة الإرهابي:

لقد كان لدى الكتاب الأوروبيين في القرنين الثاني عشر والثالث عشر أفكار غامضة حول انتشار الإسلام خلال القرون الأولى له، ولقد أشار توما الأكويني إلى أن محمداً ﷺ فيما يتصل بانتشار الإسلام بالسيف، إلى أن أتباع محمد ﷺ الأول كانوا غير عقلاء وعنيفين، وقد دفعوا غيرهم نحو الإسلام بالقوة، وكذلك ذهب بيدرو دي ألفونسو إلى أن الأمر الإسلامي ينص على السلب والأسر، وقتل أعداء الله واضطهادهم، وتدميرهم بكل وسيلة، ولقد أوضح توما الأكويني أثناء حديثه عن انتشار المسيحية، أن غير المؤمنين حتى لو كانوا أسرى عند المسيحيين فلا يجب أن يحولوا بالقوة إلى

(١) William Montgomery Watt, Musilm – Christian Encounter: Perceptions and misperceptions, London and New York, Routledgem First published, ١٩٩١, p.٩٤, Norman Daniel, Islam and the West the making of an image, p.١٩٢.

(٢) القاديانية: دين مُخْتَرَعٌ جديد، ظهر أواخر القرن التاسع عشر الميلادي بقاديان، بالهند، وحظي بمباركة ورعاية الاحتلال الإنجليزي. أسسها غلام أحمد القادياني، فادعى أنه المهدي المنتظر والمسيح الموعود، يعتقد القاديانية بتناسخ الأرواح يعتقدون أن الله يصوم ويصلي، وينام ويخطئ، ويعتقدون أن النبوة لم تختتم بمحمد ﷺ ويعتقدون أن الحج الأكبر هو الحج إلى قاديان، ويبيحون الخمر والأفيون والمخدرات، وينادون بإلغاء الجهاد، ووجوب الطاعة العمياء للحكومة الإنجليزية التي كانت تحتل الهند آنذاك، انظر موسوعة الأديان والمذاهب المعاصرة - إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي إشراف د مانع الجهني رحمه الله.

المسيحية، ومع ذلك فقد برر أن المسيحيين لهم أن يقوموا بالحرب لمنع غير المؤمنين من إعاقة الإيمان المسيحي<sup>(١)</sup>.

وهذه الصورة هي ما تواطأت على ترويجها كبريات وسائل الإعلام العالمية، إذ أصبح من الشائع أن تلتصق صفة الإرهاب بالمسلم حتى لو كان ليس متديناً، ومع أن المسيحية نفسها عرفت ظهور حركات أصولية متطرفة إلا أنها من النادر وصفها بالإرهاب، وبالتالي يمكن الحديث عما يمكن تسميته بالتحيز في إطلاق هذه الأوصاف، إلى الحد الذي صار معه إطلاق هذه الأوصاف يتلون بحسب الجغرافيا، وبحسب الدين وغير ذلك.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن للإرهاب وصناعته وظيفه جوهرية في توجيه السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية من خلال التعامل مع الآخر النقيض، فمما لا شك فيه أن الحجج التي أعلنت عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر، والتي وجهت بمقتضاها تهمة الإرهاب إلى أسامة بن لادن، ليست هي السبب الحقيقي للسياسة الحربية والعسكرية الخارجية للوضع العسكري، بل على الأحرى فإن هناك أجنحة عمل، يتم فيها البحث عن كبش فداء يعطي ذريعة للوضع العسكري العدواني للولايات المتحدة، مما يعني أن الإرهاب له وظيفة في النظام العالمي، وهو الأمر الذي أشارت إليه صحيفة الجارديان اللندنية<sup>(٢)</sup>.

إن وصف الموقف السياسي الغربي الذي عبرت عنه جريدة الإيكونومست قد صيغ على نحو واضح، وبعبارات أشد وضوحاً في نفس المقال: إن حرب الخليج مجرد فقرة واحدة في الصراع بين الإسلام المتطرف والغرب، وتفجير مركز التجارة العالمي مجرد جملة، والأمر ليس في الصحافة الغربية فقط، بل امتد إلى الباحثين والأكاديميين، وعلى سبيل المثال صموئيل هنتجون الذي أكد الأخطار التي تأتي على الغرب، على قوته وهويته من الاتصال الإسلامي الكونفوشيوسي، ووافق البعض هنتجون على أن الإسلام ذو حدود دموية، ولقد اهتمت السياسة الخارجية الأوروبية في عالم ما بعد الحرب الباردة بأمرين أساسيين، أحدهما: المصالح، وثانيهما: الإدراكات وفهم الآخرين

(١) Motgomery watt, Muslim – Christian – encounter Perceptions and misperceptions pp٨٥-٨٦.

(٢) See, <http://www.mediamonitors.net/mosaddeq١٢htm١٠٣٠/٢١/٢٠٠٢,pp,٥-٦..>

وملاحظتهم، وفيما يتعلق بالأمر الثاني فإن السياسة الخارجية تتعامل خلاله مع الشعوب الأجنبية والثقافات والحكومات الأجنبية، والتقاليد الدينية والقيم.

إن إدراك الآخرين أمر ضروري لإدراك الذات والهوية، ولقد أشار بعض المحللين والسياسيين إلى الأخطار والتهديدات التي تواجه الغرب بعد انتهاء الحرب الباردة، إذ أشاروا إلى أنه بعد انهيار الاتحاد السوفيتي فإن العالم أضحي أكثر خطراً على الغرب والولايات المتحدة، وهي وجهة من النظر رفضها بعض المحللين، وعلى أي حال فقد وضع انتهاء الحرب الباردة حدًا فاصلاً في العلاقات الدولية والتي كان من ملامحها انهيار الاتحاد السوفيتي؛ مما أدى إلى النزعات الانتصارية في دوائر السياسة الخارجية الغربية، وهنا ظهرت مجموعة من العبارات المشهورة: النظام العالمي الجديد لبوش الأب عام ١٩٩٠م، وفوكوياما في نهاية التاريخ، ومفهوم أنثوني ليك حول التوسع في السياسة الخارجية<sup>(١)</sup>.

ومن الأهمية بمكان هنا أن نشير إلى سياسة صناعة الأعداء في السياسة الأمريكية، سواء من قبل وسائل الإعلام أو من قبل الأكاديميين، فلقد اكتشفت الولايات المتحدة (فجأة) حفنة من الأعداء لها، وقد أشار أحد الخبراء في تجارة الأسلحة بأمريكا، وهو وليم هارتنك إلى أن الاعتمادات المالية الضخمة التي تدخل في النفقات العسكرية ليست نتيجة السياسة والعسكرية والاجتماعية، وهدفها الأساسي زيادة الإنفاق العسكري، وكذلك الصادرات العسكرية، وهذا هو الذي تقدم على غيره من الأسباب، وليس على التقويم الموضوعي للطريقة المثلى للدفاع عن الولايات المتحدة فيما بعد الحرب الباردة<sup>(٢)</sup>.

وهنا كانت صورة الإسلام مختلفة نوعاً ما، فلقد كانت الصورة النمطية للإسلام تصب في مصطلحات البدو والصحراء والجمال وشيوخ البترول، هذه الصورة النمطية حل محلها الآن الملالي أو الملتحون حاملو البنادق<sup>(٣)</sup>.

على أي حال فإن الأصولية الإسلامية قد حددت بوضوح لدى الولايات المتحدة

(١) See, Jochen hipplerm Foreign poliyy the Media and Western Percetion of the Middle East, in Islam, the Media, Perceptions in m <http://www.jochen-hippler.com-aufsatze-islam.th../islam-the-media-perceptions.htm>. ٢٠/٢/٢٠٠٢, pp, ٤-٥..

(٢) See, <http://www.mediamonitors.net/mosaddeq1٢htm1٠٣٠/٢١/٢٠٠٢,p.١١>.

(٣) See, <http://www.mediamonitors.net/mosaddeq1٢htm1٠٣٠/٢١/٢٠٠٢,pp,٥-٦..>

الأمريكية باعتبارها تهديدًا جديدًا، والأعداء الآخرون الممكنون والكامنون يشملون الدول الشريرة والنووية الخارجية على القانون، وصناعة هذه التهديدات الجديدة وضعت الآن موضع الاتحاد السوفيتي المهجور، لتبرر ضخ ١٢٤ بليون دولار زيادة في النفقات العسكرية حتى سبع سنوات، ولقد أوضح Enver Masud أن القلق من الحفاظ على مستويات نفقات الحرب الباردة أدى بالبنتاجون إلى تصنيع تهديد ما يُسمى الأصولية الإسلامية والدول الشريرة والنووية الخارجية على القانون، وفي يونيو ٢٠٠٠م أشار تقرير مقدم إلى الكونجرس إلى أن التهديدات الإرهابية الموجهة إلى الولايات المتحدة مخيفة ومميتة.

**ثالثًا: عدم الفصل بين الدين وبين فهم بعض البشر لهذا الدين:**

وهذه مسألة ظاهرة للعيان، حيث أصبح عدم التفريق بين الإسلام والمسلمين أمرًا واضحًا، وهو ما يقابل في العادة من قبل المسلمين بالاستنكار، وهذا ما يمكن أن نستشفه بوضوح فيما ذكره ليفي ستروس سابقًا، وقد كان لهذا التوجه أثر كبير في توظيف هذا الخوف في الإساءة للإسلام.

ولا شك أن من أبرز هذه الإساءات ما صار موضحة متبعة لكل من يريد أن يظهر براعته في الإساءة إلى غيره، ونعني بها الإساءة إلى النبي ﷺ، وهو ما صارت بعض وسائل الإعلام تتبارى في مضماره، وعادة ما تساق ضمن حرية التعبير، لكنها في حقيقة أمرها إنما تعيد تلك الصورة القديمة المتوارثة التي يصطبغ بها خيال الرجل الغربي عامة، وهي تلك التي تظهر النبي محمداً ﷺ في صورة كاردينال متمرد على الكنيسة، فاستحق على ذلك أن تُلصق به أفضع الصفات وأفقرها.

وبالنظر إلى الوقائع التاريخية القديمة التي تمت الإشارة إليها، والحديث المتمثلة في حركة الاستعمار التي صاحبها حرب شرسة على الإسلام والمسلمين، يمكن القول بأن هذه الظاهرة اليوم مازالت تستصحب ثقل التاريخ وتستعيد صور العداوة الشديدة التي طبعت علاقة المسيحيين بالعالم الإسلامي.

هذه بعض المظاهر التي يعبر بها الغرب في الجملة عن عداوته التي اختلطت بالخوف، وهي مظاهر كفيفة وحدها بأن تزيد من حدة الظاهرة نفسها.

## المبحث الثاني

## عوامل ظهور الإسلام فوبيا في الغرب

سبق من قبل القول بأنه من الصعب فصل ظاهرة الخوف من الإسلام وما أدت إليه من تعميق العداء تجاهه عن جملة العوامل التاريخية والفلسفية التي ساهمت في تشكيل هذه الرؤية تجاه الإسلام والمسلمين؛ ذلك أنه وبالنظر إلى التهويل المقرون بالتخويف الذي صاحب الحديث عن الإسلام يمكن تشبيهه بكرة الثلج، فكلما دحرجتها ازداد حجمها.

وهذا ما يستدعي البحث في الأسباب المختلفة التي ساهمت في إيجاد الظاهرة وفي تعميقها على مر الزمن، وهو أمر جدير بالبحث في تقديرنا بالنظر إلى المنحى المخالف لطبيعة العصر التي تتجه إلى تعميم روح التسامح مع كل الآراء والمذاهب والديانات، فما هي يا ترى هذه العوامل؟

## (١) العامل الديني:

وهذا العامل واحد من أبرز العوامل التي ساهمت وتساهم في صناعة الإسلام فوبيا، ومن البين أن هذا العامل يرتبط أساسا بالكنيسة؛ ذلك أن موقفها موقف عدائي على مر التاريخ، ولو جئنا لنستقصي موقف الكنيسة من الإسلام عموما لوجدناه موقفا ينطق بالكراهية الشديدة، فالإسلام مثلا لا تسميه الإسلام، بل غالبا ما تسميه دين محمد، وتسمي المسلمين المحمديين، كما تسميهم الوثنيين، ولا ترى في شخصية محمد عليه الصلاة والسلام أكثر من شخص متمرّد على الكنيسة.

وقد كانت هذه الصورة التي رسمتها الكنيسة للإسلام ولنبي الإسلام سببا في شن المسيحيين لكثير من الحروب ضد المسلمين، وما أمر الحروب الصليبية عنا ببعيد، أضف إلى ذلك ما حدث للمسلمين في الأندلس من فظائع ارتكبتها محاكم التفتيش، حيث استمرت في مطاردة المسلمين في الأندلس أكثر من قرنين.

وخلاصة القول في هذا الشأن فقد: «لوثت هذه الحروب التي جرت بين المسلمين والنصارى والتي عرفت بالحروب الصليبية تاريخ القرون الوسطى.

وقد قوت هذه المشكلة الأساسية في الكراهية، وعدم الثقة بين المسلمين والنصارى، فعلى مستوى المؤسسات قامت الكنائس بإيصال هذه المشكلة إلى كل البيوت في الغرب على أنها علامة بارزة بين تاريخي الحضارتين، ولا يمكن محوها،



وحيث إن التاريخ شاهد، فإن كل جيل يقرئه ويكون مفاهيمه وآراءه؛ ولأن الغرب كان هو الخاسر في هذه المواجهات العنيفة، فإن تلك المفاهيم والآراء تصور الإسلام دائما على أنه شيء سلبي ومخيف»<sup>(١)</sup>، زيادة على المذابح المروعة التي ارتكبت بمباركة الكنيسة في البلدان الإسلامية التي دخلها الاستعمار.

وقد عرف موقف الكنيسة -الكاثوليكية تحديدا- تجاه الإسلام شيئا من المرونة من الناحية النظرية على الأقل، ويبدو هذا في اعتراف بعض رجال الكنيسة بالظلم الذي ألحقه المسيحيون بالمسلمين حين يقول لويس غاردييه: «يجب علينا ونحن نخاطب المسلمين أن نفكر قبل كل شيء في صعوبات وعوائق الحوار مع المسلمين، والتي تتعلق بنا إلى حد كبير وإلى الظلم والجور الذي أحاط به الغرب ذو التربية المسيحية المسلمين، واقترب ذنوبا وآثاما عديدة بحقهم»<sup>(٢)</sup>، خاصة فيما خرج به المجمع الفاتيكاني الثاني<sup>(٣)</sup>، حيث جاء فيه: «إن الخلاص هو في متناول جميع من هم من ذوي الإرادة الحسنة... إن الإخوة المنفصلين عن الشركة التامة مع كرسي روما، وأولئك الذين ينتمون إلى الديانات غير المسيحية، هم أيضا يملكون حقائق وعندهم كنوز... وهناك أناس يتجهون صوب الله من نواحي شتى من بينهم ذلك الشعب (اليهودي) الذي قبل المواعيد وأعطى العهود، والذي ظهر المسيح منه بحسب الجسد، وأيضا أولئك (المسلمون) الذين يعترفون بالخالق ويؤمنون بإيمان إبراهيم ويعبدون الإله الواحد الذي سيدين البشر في اليوم الأخير»<sup>(٤)</sup>.

غير أن هذا القرار لقي معارضة كبيرة من أوساط مسيحية واسعة، ورأت فيه هدما للمسيحية من أساسها. لكن هذا الموقف ذاته وقد كان ينظر إليه على أنه فاتحة لعهد جديد تسلك فيه الكنيسة طريقا أكثر تسامحا مع المسلمين، سرعان ما تبدد الأمل

(١) آصف حسين، صراع الغرب مع الإسلام، ترجمة: مازن مطبقاني، مركز الفكر المعاصر، ط ١ ١٤٣٤ هـ ٢٠١٣ م ص ٤٧.

(٢) ريتشارد سوزنر، صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى، ترجمة: رضوان السيد. بيروت، دار المدار الإسلامي ٢٠٠٦.

(٣) عقد المجمع الفاتيكاني الثاني بين سنتي ١٩٦٢م و ١٩٦٥م.

(٤) حلمي القمص يعقوب، كتاب عقيدة خلاص غير المؤمنين بين الجذور والنما:

<http://st-takla.org/books/helmy-elkommos/unbelievers/council.html>

انظر أيضا: إميل أمين، الفاتيكاني الثاني ٥٠ عاما على العلاقات مع الإسلام والمسلمين، المركز الكاثوليكي

للدراست والإعلام، الأردن ١٨١٥ / <http://www.abouna.org/node/>

فيه خاصة بعدما تبين أن الكنيسة في غالب الأحيان ترعى صور وأشكال الهجوم على الإسلام ونبي الإسلام.

خير مثال على ذلك تلك المحاضرة الشهيرة التي ألقاها بابا الفاتيكان<sup>(١)</sup>، ووصف فيها الإسلام بأنه لا يؤمن بالعقل، وردد فيها تلك المقولات التاريخية خاصة تلك المتعلقة بالجهاد ونشر الإسلام بالسيف.

من خلال ما سبق يمكن القول بأن الكنيسة ما زالت تقف إلى حد كبير وراء تسويق الصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين، تلك الصورة التي تجعل من الإسلام ديناً منافياً للعقل، وتجعل من المسلمين حاملين للخطر معهم أينما حلوا وارتحلوا.

## ٢) العامل الفلسفي:

ونقصد به جملة الرؤى التي صدرت عن ليف كبير من الفلاسفة، وواكبت انتقال الغرب العنيف من حالة المجتمع الخاضع روحياً لسلطان الكنيسة إلى المجتمع غير المبالي بالكنيسة أو المتكرر لها، وهو ما يمكن أن نعبر عنه بالتناول الحدائث للدين، جرياً على التعبير المتداول في هذا الشأن، ذلك أن رجال التنوير نادوا بإبعاد الدين عن ساحة الوعي الإنساني، وذلك بحكم منافاة الدين للطبيعة البشرية في تقديرهم.

ويمكن في هذا الشأن أيضاً إدراج النظريات التي عمل المستشرقون على نشرها مدعين صدورها عن منهج علمي موضوعي، وهي في حقيقتها صادرة عن خلفية أيديولوجية معادية، فمن المستشرقين من عمل على إشاعة دعاوى عنصرية<sup>(٢)</sup>، كالقول بأن المسلمين ليس لهم القدرة على التفكير بحكم كون النواة الأساسية للمسلمين من الساميين، والساميون بحكم جنسهم ليسوا قادرين على الإبداع، وهذا على خلاف الجنس الآري، ولم يتوقف الأمر عند هذا الوجه بل امتد إلى الزعم بأن سبب تخلف المسلمين هو الإسلام الذي يدعو إلى التسليم بالقدر، فالمسلمون تبعاً لذلك لم يقدموا شيئاً للحضارة الإنسانية، وما يزعم لهم من إبداع في سائر العلوم إن هو إلا من قبيل ترديد ما سبقهم اليونان إليه.

(١) هذه المحاضرة ألقاها البابا في ١٢ سبتمبر ٢٠٠٦م في جامعة بون بعنوان: (العقل والإيمان في التقاليد المسيحية والحاضر المسيحي).

(٢) رنست رينان (١٨٢٣-١٨٩٢م) واحد من رواد حركة الاستشراق الأوائل، زعم أن المسلمين ليس لهم علم ولا فلسفة، وكل ما نسب إليهم هو في حقيقة أمره إبداع يوناني كتبه العرب والمسلمون بلغتهم، جرت بينه وبين جمال الدين الأفغاني مناظرة مشهورة، حيث رد جمال الدين على دعوى رينان، ثم ما لبث أن رد رينان على جمال الدين.

فالفقه الإسلامي مثلا هو نسخة معدله من القانون الروماني، وعلم النحو مأخوذ عن نحو اللغة اليونانية، وهكذا سائر العلوم الأخرى، وبهذه الطريقة نفوا كل شكل من أشكال الإبداع عند المسلمين، فساهموا بشكل واضح في تقديم صورة نمطية عن المسلمين، وهي صورة سكنت في مخيال الغرب، وصار من الصعب مراجعتها، ولا حتى التساؤل بشأنها.

ولم يكن اهتمام المستشرقين منصبا على هذا الجانب فحسب، بل إنه امتد إلى أهم الجوانب في الإسلام، ونقصد بذلك تناولهم لشخصية محمد ﷺ بوصفه النبي المتلقي للوحي الإلهي، حيث ظهرت كتب كثيرة تتناول حياته، ومعظم هذه الكتب ركزت على الموضوعات الشائعة في حياة الرسول ﷺ.

وقد زعم بعضها أن النبي كان من أصل وضيع، وأنه يعاني من نوبات صرع، وشككوا في رسالته، وأنه تصرف كرسول في مكة، ورجل سياسة في المدينة، وأنه كان يعبد من قبل المسلمين كوثن، وأنه كان على علم بالإنجيل، وأنه حاول أن يشكل الإسلام بنقل الأديان مثل اليهودية والنصرانية.

وكان هدف هذه الأعمال هو طمس شخصية الرسول محمد ﷺ، وأنه إذا ما تم لهم ذلك، فإن مصداقية النبي ﷺ ستفقد قيمتها؛ مثل هذه التعميمات التي لا برهان عليها كانت غالبا مصدقة في الغرب، ومستخدمة من قبل المنصرين<sup>(١)</sup>.

إن هذه القضايا التي تناولها المستشرقون سواء ما تعلق منها بشخصية محمد ﷺ، أو بالقرآن الكريم، أو بالسنة النبوية زعموا أن تناولهم لها تم وفق منهجية موضوعية لا تروم إلا طلب الحقيقة، لكن عند التبصر يظهر أنهم تركوا هذه الموضوعية - على فرض إمكانية تحققها في مضمار العلوم الإنسانية - وراء ظهورهم، بل إنهم غالبا ما كانوا يرددون تلفيقات الكنيسة.

ذلك أن الموضوعية المزعومة في العلوم الإنسانية هامشها قليل، وبالتالي لا يمكن الوثوق بالنتائج التي وصلوا إليها، وفي الغالب كان واضحا تماما أن المستشرقين من خلال دراساتهم للقرآن كانوا مشغولين أساسا بالبرهنة على كون الإسلام إما أن يكون قد استعار أفكارا، أو أنه تزييف للأفكار والعادات العربية المعروفة قبل الإسلام، أو أنه مأخوذ عن اليهودية أو النصرانية.

(١) انظر: آصف حسين، صراع الغرب مع الإسلام، ترجمة مازن مطبقاني، ص ٧١.

وقد علق أحد الذين ترجموا معاني القرآن الكريم في القرن الثامن عشر أن النبي «كان في الحقيقة مؤلفاً للقرآن ومخترعاً له، ولا يمكن الجدل حول هذا الأمر مطلقاً وقد اعتنق هذا الافتراض عدد من المستشرقين، ولأسباب مختلفة»<sup>(١)</sup>.

وإذا كان هذا شائعاً عند سائر المستشرقين ممن كان عملهم ينصب في زعمهم على دراسة الإسلام بصورة موضوعية في المرحلة التي يمكن أن نسميها بمرحلة الاستشراق الكلاسيكي، فإن هذا التزييف المنافي للروح العلمية غلب أيضاً على الاستشراق المعاصر، بل إنه يعد واحداً ممن كانت له المساهمة الكبرى في زيادة التزييف والتشويه المتعمد للإسلام وتاريخه.

والأخطر فيه هو كونه يعرض نتائجه على أساس أنها خلاصة بحث موضوعي؛ وهذا ما أدى إلى زيادة بالغة الحدة في قتامة الصورة التي يعرض بها الإسلام، ومن ثم زاد في حجم التخويف منه، وزاد في حدة ظاهرة الإسلاموفوبيا، ويمكن في هذا الشأن أن نمثل بواحد من أهم الشخصيات الممثلة للاستشراق المعاصر ونعني به (برنارد لويس)<sup>(٢)</sup>.

ولعل من المناسب هنا التعرّيج على واحد من الأسباب ذات الصلة بالخلفية الفلسفية التي صيغت على أساسها حياة الإنسان في الغرب، وكانت في وقت لاحق سبباً

(١) المرجع نفسه، ص ٧١، ٧٢.

(٢) ولد برنارد لويس في لندن عام ١٩١٦م، وحصل على الليسانس في التاريخ من جامعة لندن عام ١٩٣٦م، ثم انتقل إلى باريس وبدأ بدراسة اللغة العربية وغيرها من اللغات السامية، وتلمذ على ماسنيون وغيره من المستشرقين الفرنسيين حصل على الدكتوراه حول الإسماعيلية من جامعة لندن عام ١٩٣٩م. ارتبط بوزارة الخارجية البريطانية حتى عام ١٩٤٥م، غادر لندن نهائياً للعمل في جامعة برنستون في الولايات المتحدة الأمريكية أستاذاً للتاريخ الإسلامي، وأصبح مواطناً أمريكياً بعد حصوله على الجنسية الأمريكية عام ١٩٨٢م. ولا تذكر المراجع شيئاً عن يهوديته التي لا تكاد تعرف إلا من خلال عمق ارتباطه بالحركة الصهيونية والذي ظهر واضحاً بعد حرب ١٩٦٧م. تعددت كتبه ودراساته بحيث من الصعب حصرها جميعاً. انظر: مقدمة الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية، برنارد لويس، إدوارد سعيد، دار الجبل، بيروت، ط١، ١٩٩٤ ص ٥ وما بعد. وانظر: الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، د. مازن مطبقاني، الرياض، ١٩٩٥، ص ٦٩ وما بعد. وانظر: اليهود في ظل الإسلام، برنارد لويس، ترجمة حسن أحمد بسام، دمشق ١٩٩٥م، وغيرها من الأبحاث والدراسات التي ستذكر لاحقاً. وانظر: منهج المستشرق برنارد لويس في دراسة الفكر السياسي الإسلامي، د. مازن مطبقاني وهي محاضرة أقيمت في المجمع الثقافي في أبو ظبي - بتاريخ ٢٦ نيسان ١٩٩٨م. وانظر: العرب في التاريخ، برنارد لويس، ترجمة نبيه فارس، محمود زايد، ط١ بيروت، دار العلم للملايين ١٩٥٤م، ص ٥. وانظر: حمدي السكوت، برنارد لويس مرشد عام المحافظين الجدد، مجلة العربي (٥٥٨) ٢٠٠٥ / ٥.

في توتر علاقة الغرب بالإسلام وبالعالم الإسلامي، وساهمت في ترسيخ النظرة العدائية النمطية للإسلام والمسلمين.

وهذا السبب هو ما يمكن أن نطلق عليه بحركة العلمنة التي اجتاحت منظومة الحياة الغربية، وإذا كان من المعلوم أن الغرب سار في طريق العلمنة بفعل عوامل تاريخية مرتبطة بتجربته الخاصة في علاقته بالدين الكنسي، وما انجر عن هذه التجربة من رفض للدين وبالتالي رفض كل قيمة متعالية، والاكتفاء بالتعاطي مع الإنسان على أنه مجرد امتداد للطبيعة المادية، وليس له أي قيمة معنوية.

ومن المناسب أيضا أن نشير إلى أن الغرب ما انفك يعمل على غريمه الإسلام على شاكلة ما فعل مع المسيحية، ووظف من أجل ذلك أسلوبين يبدوان في ظاهرهما متعارضين وهما<sup>(١)</sup>: التصير (CHRISTIANIZATION)، والعلمنة (SECULARIZATION)، وتوظيفه كان بدافع من سعيه الحثيث من أجل محو الهوية الإسلامية.

إن هذه النتائج الخطيرة التي صارت تحكم حياة الإنسان الغربي أراد تصديرها إلى الشعوب الأخرى، وكان للعالم الإسلامي نصيب وافر من كل هذا، وبسبب الممانعة التي أبدتها الشعوب الإسلامية في قبول طريقة الحياة الغربية، صار الغرب ينظر إلى هذه الشعوب على أنها معادية، وتم وضع لبنة أخرى في صرح الإسلاموفوبيا، تم هذا على الرغم من كون الطرح العلماني يروم لنفسه أن يكون رؤية شمولية تعميمية تستوعب جميع الشعوب على اختلافها في جو من التسامح لا تتوفر عليه الأديان ولا تسمح به، إلا أن هذا الطرح ثبت أنه لا يسمح إلا بما يتفق والرؤية الخاصة النابعة من التجربة الغربية.

«العلمانية لا تصلح إطارا عاما كليا رغم طبيعتها التي تتزع إلى الكلية والكونية، وكما لا يمكنها بحال أن تولد التسامح ولا أن تنتج مضمارا كليا يطبق أن

it is by putting forward the Christian origins of western ، "When one opposes the west and Islam"<sup>(١)</sup> when we question ،by emphasizing its secularism. In other words ،on the contrary ،culture or we are referring to two different forms of ،Islam's capacity to became "westernized" and ،things are more complex ،westernization: Christianization and secularization. Of course ،it would be easy to show that western secularism actually has a Christian origin". Olivier Roy .٩ ،p: ٨ ،٢٠٠٧ ،tr: George holoch. Columbia university press ،secularism confronts Islam

يصير نظاما يستوعب الجميع باختلافاتهم وتنوعاتهم الوجودية والتاريخية، وإن شئنا تمثيلا ننظر إلى المجتمعات التي تتبنى العلمانية حينما تسمح للموافق القانوني والثقافي بالتواجد، وتلغي أصحاب التفسيرات المخالفة بتبريراتها الفلسفية والرؤيوية»<sup>(١)</sup>. وبالتالي فإن الطرح العلماني فقد مبررات الدعوة إلى تعميمه، غير أن الإصرار على هذا التوجه لم يورث شيئا غير زيادة التشنج وزيادة الخوف من الجهتين.

### ٣) العامل التاريخي:

وهذا العامل يمكن القول بشأنه: إنه عامل حاسم، ذلك أن صورة المسلمين تم العمل على تميظها منذ زمن بعيد يعود إلى زمن بعثة الرسول ﷺ وتم السير على هذا الطريق مروراً بالحروب الصليبية ومحاكم التفتيش، حتى إذا حلت العصور الحديثة تم السير على الطريق نفسه، وامتد هذا على ذات المنوال في الفترة التي سبقت حركة الاستعمار وواكبته، إذ صار المسلم عنوانا على التخلف إذا رفض طريقة الحياة الأوروبية، وإذا ثار لاسترداد كرامته وتوسل لذلك بشتى الوسائل بما فيها الثورات المسلحة صار سلوكه هذا عنوانا على الإرهاب.

بهذه الصورة: «أضافت حقبة الاستعمار مجالات جديدة من العداوة بين النصراني والمسلمين، فالنصارى الذين فقدوا الأمل في السيطرة على المسلمين، رفعوا رؤوسهم مرة أخرى خلال الحكم الاستعماري في البلاد الإسلامية، وبدأ المنصرون يتدققون على البلاد المستعمرة، وأسسوا إرسالياتهم بهدف تحويل المسلمين إلى النصرانية، وتتمثل خطة هذا الفصل في تقديم موجز عام لنشاطات البعثات التبشيرية، ومناقشة كتابات مختارة لاثنتين من المنصرين لإعطاء القارئ فكرة عن كيفية تشويه مثل هؤلاء المنصرين للإسلام، وأنهم يقدمون بذلك خدمة للاستعمار على المدى البعيد»<sup>(٢)</sup>.

فالتبشير كان ظهيرا للاستعمار، وكان دوما ممهدا له، وساهم بالنصيب الأوفر في تقديم صورة مشوهة عن الإسلام والمسلمين حتى أضحت هذه الصورة مصاحبة لكل حديث عن الإسلام والمسلمين.

وقد عمل بعض المسلمين على ترسيخ هذه الصورة ببعض ما أبدوه من تصرفات غير مترنة، مثل ما حدث في ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، حيث حُمل المسلمون جميعا وكذا الإسلام مسؤولية هذا الفعل البشع.

(١) الحاج ذوق، العلمانية والتسامح، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، ص ٦.

(٢) أصف حسين، المرجع السابق، ص ٨٥.

## ٤) الإعلام الغربي:

لقد أسهمت وسائل الإعلام على نحو فعال في تكوين صورة مشوهة وسلبية للإسلام في العقل الأوربي، وذلك من خلال التغطية الإعلامية التي يُقدّم الإسلام خلالها للوعي الأوربي المعاصر، فالإسلام ينظر إليه في النشرات الإخبارية، والتقارير الصحفية... إلخ على أنه ديانة إرهابية، ومتطرفة وأصولية مكونة بذلك صورة نمطية مدمرة للإسلام، فالإسلام الراديكالي هو الصورة العامة في الفكر الغربي، والتي يصور المسلمون فيها على أنهم إرهابيون ومتطرفون<sup>(١)</sup>.

إن هناك صورة سلبية للإسلام في الوعي الغربي، ففي القرنين الأخيرين كانت صورة الإسلام -بصفة أساسية - ازدرائية، فالإسلام كعقيدة يصنف سلبياً على أنه متعصب، ومتعطش للدماء، وقمعي اجتماعياً، أما الذين يعتقدون الإسلام فهم مخادعون وغير عقليين، وغير حضاريين، والمجتمعات التي ازدهر فيها الإسلام تُصنّف على أنها مجتمعات رجعية، ومبتلاة بالفقر والاستبداد الذي لا يتغير، هذه الصور النمطية تركز بطبيعة الحال على التاريخ، وكما يشير البعض فينبغي أن ننظر إليها على أنها لست حقائق متغيرة تشبه الحقيقة، لكن على أساس أنها علامات على تفكير لعصر خاص، كان هو المصدر الذي أنتجها، والكثير من هذه الصور يعود إلى عصر السيطرة الاستعمارية الغربية على الشرق الأوسط، وذلك في الفترة من ١٨٠٠ - ١٩٥٦م، فالمواجهة الإمبريالية بحثت الإسلام ديانة وثقافة على نحو قليل الأهمية، على أنه صورة للشرق الفذر والأسطوري واللامنظم والأجنبي، ومن هناك فإن نقطة التركيز على الإسلام جاءت من خلال النظر إليه على أنه نظام ساقط للعالم، وعلامة على انحطاط الحضارة<sup>(٢)</sup>.

وينظر إلى الإسلام اليوم باعتباره منافساً عالمياً يبعث على الخوف والقلق، ووفقاً لعلم النماذج الشخصية والتغيرات والظروف التي حدثت فيما بعد الاستعمار، فإن الإسلام قد صنّف على نحو جوهرى على أنه: أصولي، ومسلح ضد الغرب، ومكان للقمع السياسي والاجتماعي كما أن المسلمين قد ارتبطوا بالعنف المسلح، وجد هذا في

(١) See, <http://www.islamforoday.com/media.htm>, ٦/١/٢٠٠٣, Islam and the Western Media, p.١.

(٢) See, <http://freespeech.org/manushi/٩٨/isla.htm>, ٦/١/٢٠٠٣, The politics of Sterotvding Western

Images of Islam. p.٢..

العناوين الأساسية للصحف، والصور الفوتوغرافية، والكارتون، والفيديو كليب<sup>١</sup>، فالمسلم في الولايات المتحدة الأمريكية يحدد بأنه الإرهابي، وهناك صلة قوية جداً بين كلمة مسلم وكلمة إرهابي، فالمسلمون يُنظر إليهم على أساس أنهم المصدر الأساسي للإرهاب والعنف، وأيضاً باعتبارهم مهددين للديمقراطية<sup>٢</sup>.

والإعلام الغربي اليوم هو الذي يشكل الوعي الغربي المعاصر في موقفه من الإسلام، وذلك من خلال وضع قالب نمطي للإسلام باعتباره الآخر النقيض الذي تحدد من خلاله معالم الهوية الأوروبية الأساسية في مقابل الآخرين، ومن هنا فلا بد من إعادة بناء صورة نمطية للإسلام تظهر فيها كل السلبيات التي تعبر عن نقبض الحضارة الغربية، صورة هي من صنع الغرب نفسه، فالإسلام لا يظهر إلا مرتبباً بالإرهاب، والجوع، والمرض، والاستبداد السياسي، وقتل الأبرياء، والحروب الأهلية، وكل ما هو بغيض إلى النفس الأوروبية، كل هذا يتم ترسيخه من خلال المقالات الصحفية والتلفزيون والراديو، والأفلام وغير ذلك من وسائل الإعلام.

فوسائل الإعلام هنا تجعل الإسلام مساوياً للأصولية ومساوياً للتطرف ومساوياً للعنف، ولعل أفضل مثال يعبر عن هذه الحقيقة ما حدث من استجابة غربية لتفجير مبنى أوكلاهوما سيتي في أبريل ١٩٩٤م، ففي إحدى المقالات وجّه الاتهام إلى المسلمين، مع عنوان فرعي بالمقال يشير إلى أن الأمريكيين يبحثون عن من يدفع، ويفضل أن يكون مسلماً، فهي هنا تقوم بتمثيل المسلمين والتعبير عنهم: الغرب المتحضر في مقابل الآخرين المنحطين، فالأمر هنا هو (نحن) في مقابل (هم).

إن الصورة السلبية التي يركز عليها الإعلام الغربي ثابتة دون تغيير، وإن اختلفت المواقف والظروف، فهناك موقف قديم ارتسمت على صفحته هذه الصورة المشوهة، والتي وضع فيها كل ما هو بغيض للعقل الغربي، ولقد ظهر تصور الإسلام في الوعي الغربي الحديث من خلال الربط بينه وبين القضايا التي تبحثها وسائل الإعلام: الثورة الإيرانية، البترول، أفغانستان، الإرهاب، وبدا أن العرب والمسلمين «موردو بترول أو

<sup>١</sup> Ibid, p.٢.

<sup>٢</sup> See, <http://WWW.Washington-report.org/backissues/٠٦٩٧/٩٧٠٦٠٣٦.htm> ١,٢٥/٢/٢٠٠٢.

Speaking out: the image of islam in the West, by paul findley.p.٢.



إرهابيون محتملون»<sup>١</sup>.

هذه التغطية الإعلامية المليئة بالأوهام، كما يقول إدوارد سعيد: «زاخرة بالمغالطات... ولقد زودت هذه التغطية مستهلكي الأخبار بالشعور بأنهم باتوا يفهمون الإسلام، دون أن تشعرهم في القوت نفسه بأن الجانب الأعظم من هذه التغطية الناشطة إنما يقوم على مادة هي أبعد ما تكون عن الموضوعية»<sup>(٢)</sup>.

فهناك صورة سلبية، وهناك أيضاً توظيف لهذه الصورة في السياسة الغربية، فهناك إجماع «حول الإسلام باعتباره كبش فداء لكل ما لا يروق لنا من أنماط سياسية واجتماعية واقتصادية جديدة في العالم، فبالنسبة لليمين، يمثل الإسلام الهمجية، وبالنسبة للييسار، يمثل الثيوقراطية في العصر الوسيط، أما بالنسبة للوسط، فهو يمثل نوعاً من الغرائبية المموجة، إلا أن ما يربط هؤلاء هو أنه رغم أن نزرًا يسيراً فقط معروف عن العالم الإسلامي، فلا يوجد هناك الكثير الجدير برضانا ومباركتنا»<sup>(٣)</sup>.

إن القالب السلبي الذي دشنته وسائل الإعلام هو امتداد لموقف قديم يعود إلى ١٤٠٠م، فالمسلمون الآن: إرهابيون، أو موردو بتزول، والتقارير الإعلامية التي تغطي الإسلام في الغرب عمادها الأساسي هو الجهل بالإسلام، كما أنها يجهل الكثير من التفاصيل المهمة المتعلقة به، وهي تطور، نتيجة لهذا، صورة نمطية مشوهة ومدمرة للإسلام، ويعود ذلك إلى الكلمات التي يتم اختيارها لوصف المسلمين، فنادراً ما تستخدم في حقهم كلمة إحيائيين أو متطورين مجددين<sup>(٤)</sup>.

فالإسلام لا يرى في وسائل الإعلام إلا من خلال الأبناء غير السارة، فهو يقدم باعتباره خطراً أو تهديداً للغرب، لقد أوجدت وسائل الإعلام أفكاراً خاطئة عن الإسلام، وشكلت له صورة نمطية سلبية، مثل: التأكيد على أن كل المسلمين متطرفون أصوليون، وهي صورة نمطية أو قالب نمطي مبني على فهم ناقص للإسلام، أو جهل به في أغلب الأحوال، ولعل أوضح مثال على هذا الجهل التعليق الذي كتب على بعض

<sup>١</sup> See <http://freespeech.org/manushi/98/isla.htm>, ١/١/٢٠٠٣. the politics of stereotyping western images of islam .p.٦.

(١) انظر: إدوارد سعيد الإسلام والغرب، في "الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية، دار الجبل، بيروت، ١٩٩٤م، ص ٥٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٧٢.

(٤) Ibid,ppm٢-٣.

الجنود وهو يقومون بأداء الصلاة بجوار بنادقهم: البنادق والمصلون يذهبون معاً في معركة الأصوليين. وهو تقرير يوضح التحريف والتحيز والخطأ في التقارير الصحفية، وفي الفيلم الذي أخرجه ستيفن إمرسون بعنوان هناك خلاصة يخرج بها المشاهد: أن الإسلام يساوي الجهاد الذي يعني بدوره الإرهاب؛ مما يؤدي إلى الشعور بالخوف من هذه الثقافة وكرهه الإسلام والمسلمين<sup>(١)</sup>.

لقد اخترع الغرب شرقاً خاصاً به، لا صلة بينه وبين الواقع الفعلي في بلاد المسلمين، يقول إدوارد سعيد: «إن المصطلح» الإسلام، كما يستخدم اليوم يبدو وكأنما يدل على شأن واحد بسيط، لكنه في الحقيقة وهمٌ في بعض أجزائه، ودفعة أيديولوجية في بعضه، وهو تحديد وتعريف بسيط جداً لدين يعرف بالإسلام في بعضه الآخر، ولا تقوم أي مقابلة مباشرة على أي درجة من الأهمية الصحيحة بين الإسلام في المصطلح الغربي الراجح وبين الحياة الزاخرة بالتنوعات الهائلة التي يحفل بها عالم الإسلام<sup>(٢)</sup>.

أيضاً فإن وسائل الإعلام تحدد الإسلام من خلال صراعات المسلمين، وهي عندما تتحدث عن صراعات غير المسلمين فنادراً ما تشير إلى دياناتهم، على سبيل المثال فإنه في بعض نشرات الأخبار يأتي الخبر التالي: خمسة إسرائيليين قتلوا على يد خمسة مسلمين، وذلك بدلاً من القول بأن خمسة إسرائيليين قتلوا على يد خمسة فلسطينيين، وتعكس وسائل الإعلام هذا الإجراء عندما يكون العنف موجهاً ضد المسلمين، فعلى سبيل المثال: البوسنيون يقتلون على الصرب، وذلك بدلاً من القول: المسلمون يقتلون على يد الصرب<sup>(٣)</sup>.

هذه الصورة السلبية للإسلام هي الأكثر حضوراً وتأثيراً في العقل الغربي، وهي صورة يفكر فيها من خلال المصالح الاقتصادية والسياسية، فالأمر هنا فيما يبدو صراع مصالح لا صراع حضارات فالإسلام إما أنه إسلام مسلح أو أنه إسلام أصولي، وفي الحالتين معاً هو تهديد للغرب: «لقد غدا الإسلام بالنسبة إلى الجمهور العام في أمريكا وأوروبا أخباراً بغیضة بشكل خاص، وتنضوي وسائل الإعلام والحكومة والاستراتيجيون الجغراسيون والخبراء الأكاديميون المختصون بالإسلام.

(١) See, <http://www.islamfortoday.com/media.htm>, ٦/١/٢٠٠٣. p.٤.

(٢) الإسلام في وسائل الإعلام، ص ٦٦.

(٣) ٩٩٩

في جوفة متناقضة: الإسلام تهديد للحضارة الغربية ... إن صور -+ لإسلام السلبية أكثر شيوعاً ورواجاً ... بل هي تطابق ما تعتبره قطاعات بارزة في مجتمع معين أنه هو، وتمتلك تلك القطاعات من القوة والعزم على نشر وترويج تلك الصورة المعينة للإسلام، فتصبح هذه الصورة لذلك هي الصورة الأكثر شيوعاً، والأكثر حضوراً من كل ما عداها<sup>(١)</sup>.

فالآخر هنا لا يظهر على حقيقته، بل من خلال مخيلة الآخرين: منهجه وآلياته، والأقوى سياسياً وعسكرياً، واقتصادياً، ومعرفياً.

إن وسائل الإعلام التي أسلمت الإسلام إلى الغرب: التلفزيون، وشبكات الراديو، والصحف اليومية، والمجلات، والأفلام السينمائية، قدمت صورة مشوهة للإسلام تعكس المصالح القومية للمجتمع الذي تقدم إليه هذه الصورة، وبناء على أساس منها يتخذ صناع السياسة الموقف من الآخرين، فهناك صورة مشوهة قدمتها وسائل الإعلام للعرب في الثقافة الغربية، فهم إرهابيون، ومجتمعهم مجتمع العنف، ودينهم الإسلام دين متطرف ورايديكالي، وهي هنا تلتصق الإرهاب بالإسلام، نتيجة لاستخدامها لبعض الحوادث وتفسيرها الخاص لها، لتشكل إدراكاً عاماً بأن كل المسلمين إرهابيون، مع أن عصابة Baadar Menihof لا تلتحق الإرهاب بكل المسيحيين<sup>٢</sup>.

فهناك حملة إعلامية تشن ضد الإسلام في الغرب، إذ يقدم في الإعلام الأوربي والأمريكي على أنه خطر يهدد الغرب، وهناك إجماع على أنه تهديد للحضارة الغربية، وهناك العديد من العوامل التي تسهم في هذه التقارير المحرفة المتحيزة أو غير المرضية، بوساطة المراسلين الغربيين والمحللين، ومنها تلك التحيزات التي تنشأ عن العدوات التاريخية: الحروب الصليبية، والهيمنة العثمانية حتى شرق أوربا إلى الحرب العالمية الأولى، والمشاركة الإسلامية النشطة في حرب الاستقلال بالهند عام ١٨٥٧م ضد الاحتلال البريطاني، يضاف إلى ذلك أيضاً ما تقوم به وسائل الدعاية الصهيونية<sup>٣</sup>، فاللوبي الصهيوني بنفوذه الشاسع يسعى بكل الوسائل لكي يستخدم أمريكا كسلاح ضد العرب والمسلمين، وهم يصورون للغرب أن المصالح الصهيونية والأمريكية متطابقة،

(١) إدوارد سعيد، المعرفة والقوة في "الإسلام الأصولي" ص ١٠٤.

<sup>٢</sup> See, <http://www.acpps.org/ekuras/ek20.htm>. ٦/١/٢٠٠٣, p. ٢.

<sup>٣</sup> Ibid, p. ٣.

وأهم في خندق واحد ضد الإسلام والمسلمين المتطرفين، وترى أن كل الناشطين أعداء للغرب وقيمه، حتى لو كان الناشطون المعتدلون أقل تطرفاً فكلاهما معاً أعداء للديمقراطية.

#### ٥ - مناهج التعليم:

وبالإضافة إلى دور وسائل الإعلام في تقديم صورة سلبية للإسلام في الوعي الغربي المعاصر، فهناك الكتب الدراسية التي تقوم على صياغة عقل الغربي من خلال تقديم المعلومات والمعارف التي يراد له أن يعرفها عن الشعوب والثقافات الأخرى، هذه الكتب تقدم معلومات مشوهة وناقصة عن الإسلام والمسلمين، ولقد أشار أحد الباحثين في العلوم السياسية من خلال أبحاثه في الكتب التي تدرس لطلاب المدارس العليا في أمريكا أن العرب والمسلمين يمثلون ويقدمون على أساس أنهم شعب رجعي وبدائي وغير متحضر، وهو شعب يظهر على أنه مولع بالحرب والقتال، وقوي وبربري، ووحشي<sup>١</sup>.

ففي الولايات المتحدة الأمريكية اتهمت الكتب المدرسية براءة التعليم العام، وبالأخطاء فيما يتصل بالوقائع التي تضمنها عن الإسلام والمسلمين، فهناك ٨٪ في كتب التاريخ العام مخصصة، على أبعد تقدير للشرق الأدنى، ومعظم هذه المادة غير كافية، فضلاً عن أنها تعالج أساساً الحضارات القديمة، حضارات وادي النيل وبلاد الرافدين، ولا تتحدث علمياً عن تاريخ الثقافة الإسلامية، ومن جهة أخرى فإن محرري الكتب المدرسية يظهرون مثل المدرسين، نتائج مسبقة كامنة، معززة بتحرير ناقص ببحث قليل الدقة، وبتقديم غير سديد، ولقد وجهت مجموعة من أوجه النقد في دراسة أجريت مؤخراً على الكتب الدراسية في منطقة واشنطن: فلما قدم الإسلام كأحد أديان التوحيد الكبرى في العالم، والتاريخ والحضارة العربية حوكما بميزان المعايير العرقية الخالصة، واستخدمت قوالب فظة مقدمة في أسلوب تحقيري لوصف حاضر العرب، وأخيراً عرض الصراع الغربي الإسرائيلي على صورة أسود: أبيض بدون تلوين، باعتبار أن إسرائيل تجسد الخير، والعرب يجسدون الشر<sup>٢</sup>، وهو الأمر الذي يسهم مع غيره من العوامل الأخرى في رسم وتعميق صورة نمطية سلبية للإسلام في الوعي

<sup>١</sup> See.lawrence davididson, Islamic fundantalism. P,٦٥.

<sup>٢</sup> انظر: مارسيل بوزار، الإسلام اليوم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٦، ص٢٣-٢٤.

الغربي.

## المبحث الثالث

## مقترحات لتجاوز الظاهرة

أضحى من الواضح لدى كثير من الدارسين في الغرب كما في العالم الإسلامي أن هذه الظاهرة لا بد من العمل الجاد من أجل الحد منها ثم القضاء عليها في مرحلة لاحقة، وفي هذا السياق لا بد من الاعتراف مسبقاً بأن كثيراً من مفكري الغرب وساسته كانوا السباقين إلى التنبيه على هذه الظاهرة المرضية، ويكفي أنهم هم من نحت هذا المصطلح للدلالة عليها، وليس هذا غريباً بحكم كون هذه الظاهرة مست الغرب نفسه. وفي هذا السياق يقول مؤلف كتاب الإسلاموفوبيا، الحملة الإيديولوجية ضد المسلمين: «علينا من أجل كسر أصفاد الإسلاموفوبيا أن نبدأ من حيث بدأ تحرير السود وذوي البشرة السوداء والنساء في الولايات المتحدة، أي أنه ينبغي أن نبدأ بتقويض كامل الخطاب والنماذج المعيارية التي تشكل الأساس التحتي لأفكار الإسلاموفوبيا؛ لذا فليست المسألة هي ما إن كان أوباما يوافق على إقامة مركز إسلامي بالقرب من موقع أحداث ١١ سبتمبر حيث بدت مصادقته الفاترة، وأنه يضم مذاقاً مريراً في فمه لا يضطراره إلى مساندة الحرية الدينية»<sup>(١)</sup>.

ويمكن تبين مجمل الأساليب المتبعة في الغرب من قبل من يرون في الظاهرة خطراً عليهم فيما يأتي:

## - تأليف الكتب:

يمكن القول بأن حركة تأليف الكتب التي تتناول هذه الظاهرة بالتحليل في الغرب أضحت نشيطة إلى حد كبير، فهناك كتب ألقت لتحليل الظاهرة وبيان أسبابها، وبيان نتائجها الخطيرة على المجتمعات الغربية نفسها؛ ذلك لأن هذه المجتمعات أضحت تضم بين ثناياها قطاعاً كبيراً من المسلمين، وكثير منهم ليسوا من الجاليات المهاجرة، هذا زيادة على كون المسلمين يساهمون في رفاهية المجتمعات الغربية بصورة واضحة.

ومن هذا الوجه صارت الإسلاموفوبيا تهدد تماسك هذه المجتمعات، وهذا ما ظهر واضحاً في فرنسا في السنوات الأخيرة من خلال ما عرف بأحداث الضواحي الباريسية، التي يمكن القول بشأنها بأن من أهم أسبابها شعور سكان هذه الضواحي

(١) ستيفن شيهي، ص ٣٥٩، ٣٧٠.

بالتهميش الاجتماعي والاقتصادي زيادة على المضايقات التي يتعرضون لها بحكم انتمائهم الديني، من هنا بدأ التحول إلى البحث عن سبيل للحد من ظاهرة الخوف من الإسلام بفعل الخوف على تماسك المجتمعات الغربية، ومما ينبغي الانتباه إليه هنا أن قطاعا لا بأس به من المتقنين في فرنسا بدأ يتحدث عما سماه الإسلام الفرنسي، بمعنى تطويع الإسلام ليصير متمشيا مع طريقة الحياة الفرنسية، وهذا لا يكون في رأيهم إلا بتشجيع الدعوات التي ترى ضرورة تعديل بعض المفاهيم في الإسلام لتساير طريقة الحياة العلمانية، ورأوا تبعا لذلك أن الإسلام لابد أن يتخلى عن بعض مبادئه ليتيسر لمعتقيه العيش في العالم الحر، وهذا مثلما فعلت المسيحية على حد قولهم، وبعضها ألف للرد على دعاة إثارة الخوف.

#### - عقد المؤتمرات:

وهذه الجهود التي يبذلها بعض مفكري الغرب أنفسهم، وإن كانت في أغلبها من أجل الحفاظ على انسجام المجتمعات الغربية نفسها، ينبغي تثمينها، ودعمها بجملة من الأنشطة الموازية، ومنها:

— إقامة الندوات، التي تبين سماحة الإسلام ووسطيته، وحقيقته، فصورة الإسلام عند الغرب مشوهة ومقرونة بعمليات الإرهاب والقتل والتدمير، والإسلام بريء من هذا فيجب على اهل الإسلام بذل الجهد والطاقة، وكل ما بوسعهم من أجل التعريف بحقيقة هذا الدين العظيم، وهذا واجب يقع على الحكومات والمؤسسات والعلماء والمفكرين والدعاة إلى الله.

— إنشاء قنوات الاتصال بين الغرب وأهل الإسلام وفتح باب الحوار بين الحضارات والثقافات لإعطاء صورة ناصعة عن الإسلام، ومسح تلك الصور المشوهة والمتجذرة في أذهان الغرب.

## الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين.

أما بعد:

فإنه لما كانت الإساءة للمسلمين تظهر كل يوم بأشكال متعددة، تتداولها وسائل الإعلام كلها في الشرق والغرب، كان من الأهمية بمكان البحث حول ظاهرة الإسلاموفوبيا والتي أصبحت حديث الساعة حيث إن الأمر وصل بالدول الكبرى - وخاصة أمريكا - إلى اعتبار كل مسلم إرهابياً، وجعلوا الدين الإسلامي ديناً إرهابياً. وخالصة هذا البحث التعريف بالمصطلح وأساسه العقدي والفلسفية والعوامل التي ساهمت في ظهوره وما السبل لتجاوز هذه الظاهرة؟ فظاهرة الإسلاموفوبيا تعني الخوف من الإسلام. ولظهور هذه الظاهرة عدة عوامل:

## الأول: العامل الديني:

وهو يرتبط بالكنيسة حيث وقفت الكنيسة موقفاً معادياً للإسلام منذ لحظة ظهوره، وبدأت تنسج خيوط المؤامرة لحربه، ومن هنا قامت الحروب الصليبية، وكانت الكنيسة أيضاً وراء تسويق صورة نمطية متجذرة عندها، وهي أن الإسلام منافٍ للعقل وأن المسلمين مصاصو دماء معادون لمن يخالفهم في الدين.

## الثاني: العامل الفلسفي:

وهو الذي حمل رجال التنوير على المناداة بإبعاد الدين عن ساحة الوعي الإنساني بحكم منافاته للطبيعة البشرية، ومن ثم التخويف منه؛ لأنه سبب للتخلف ولا يعطي الإنسان الحرية، ويجعله مكبلاً بأغلال الدين، وزاد في حدة هذه الظاهرة تبني المستشرقين المعاصرين وعلى رأسهم برنارد لويس لهذه الظاهرة.

## الثالث: العامل التاريخي:

وهو عامل حاسم؛ ذلك أن صورة المسلمين التي ذكرناها آنفاً تم العمل على تمييطها منذ زمن بعيد يعود إلى بعثة النبي ﷺ، وتم السير على هذا الطريق مروراً بالحروب الصليبية، ثم جاء الاستعمار وأكد هذه الصورة النمطية، وهي أن المسلم المتمسك بدينه هو المتخلف؛ إذ رفض طريق الحياة الأوروبية، وصار سلوكه هذا عنواناً للإرهاب، وأما ظهورها في العالم الإسلامي فيتمثل في أمرين:

١- تأثر بعض شباب المسلمين فيما يعتقدونه الغربيون في أن سبب التخلف هو الدين؛ ولهذا حاولوا المناداة بهذه الفكرة العلمانية في بلادهم؛ مما أوجد حالة من العداء الظاهر والخفي أحيانا بين المنادين وبين عموم الأمة، وتجسد هذا الخوف بشكل واضح في كل ماله صلة بالدين، وصار ينظر إلى أي مظهر من مظاهر الدين على أنه يتنافى مع الحداثة، ويعرقل التحديث.

٢- تصرفات بعض المسلمين ممن كان فهمهم للقرآن الكريم قاصرا عن فهم إدارة العلاقة مع المخالف لتجعل منه منطلقا يؤسس للعدوان في جميع الأحوال، وهذا غير صحيح ويمكن تجاوز هذه الظاهرة بعدة أمور كما ذكرنا آنفا.

#### الرابع: العامل الإعلامي:

ساهمت وسائل الإعلام الغربي في رسم صورة سلبية للإسلام في العقل الأوروبي وذلك من خلال التغطية الإعلامية التي يقدم الإسلام من خلالها للوعي الأوروبي المعاصر فالإسلام يقدم في النشرات الإخبارية والتقارير الصحفية ... الخ على أنه ديانة إرهابية متطرفة وأصولية مكونة بذلك صورة سلبية مدمرة للإسلام، فالإسلام الرادكالي هو الصورة العامة في الفكر الغربي والتي يصور المسلمون فيها على أنهم إرهابيون ومتطرفون.

#### الخامس: مناهج التعليم:

قدمت مناهج التعليم الغربي صورة سلبية فالكتب الدراسية قدمت معلومات مشوهة وناقصة عن الإسلام والمسلمين والمسلمون يقدمون على أساس أنهم شعب رجعي وبدائي وغير متحضر وهو شعب مولع بالحرب والقتال وقوي وبربري ووحشي.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد

وآله وصحبه.



## فهرس المراجع:

١- القرآن الكريم.

## المراجع العربية:

- ١- إدوارد سعيد ، المعرفة والقوة في (الإسلام الأصولي).
- ٢- إدوارد سعيد الإسلام والغرب، في: الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٤م،
- ٣- الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، د. مازن مطبقاني، الرياض، ١٩٩٥م.
- ٤- الإسلاموفوبيا؛ الحملة الإيديولوجية ضد المسلمين، ستيفن شيهي، ترجمة: فاطمة نصر، سطور للنشر، القاهرة ٢٠١٢، ص ٤١.
- ٥- برنارد لويس، الإسلام والغرب، ص ١٥.
- ٦- جراهام، أي فوللر، وأيان أو . ليسر، الإسلام والغرب، بين التعاون والمواجهة- ترجمة: شوقي جلال، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٢٨-٢٩.
- ٧- حمدي السكوت، برنارد لويس مرشد عام المحافظين الجدد، مجلة العربي (٥٥٨) ٢٠٠٥ / ٥.
- ٨- خمسون عاما على العلاقات مع الإسلام والمسلمين، إميل أمين، الفاتيكانى الثانىالمركز الكاثوليكي للدراسات والإعلام، الأردن ١٨١٥ / <http://www.abouna.org/node/1815>.
- ٩- د. مازن مطبقاني وهي محاضرة أقيمت في المجمع الثقافى في أبو ظبي - بتاريخ ٢٦ نيسان ١٩٩٨م.
- ١٠- السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٢١٤-٢٢٧، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.
- ١١- صراع الغرب مع الإسلام، آصف حسين، ترجمة: مازن مطبقاني، مركز الفكر المعاصر، ط ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م ص ٤٧.
- ١٢- صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى، ريتشارد سوزرن، ترجمة: رضوان السيد. بيروت، دار المدار الإسلامى ٢٠٠٦.

- ١٣-العرب في التاريخ، برنارد لويس، ترجمة نبيه فارس، محمود زايد، ط١ بيروت، دار العلم للملايين ١٩٥٤م.
- ١٤-العقل والإيمان في التقاليد المسيحية والحاضر المسيحي محاضرة ألقاها البابا في ١٢ سبتمبر ٢٠٠٦م في جامعة بون.
- ١٥-العلمانية والتسامح، الحاج ذواق، مؤسسة مؤمنون بلا حدود.
- ١٦-كتاب عقيدة خلاص غير المؤمنين بين الجذور والنما، حلمي القمص يعقوب، <http://st-takla.org/books/helmy-elkommos/unbelievers/council.html>
- ١٧-مجلة العربي، العدد ٤٩٥، الكويت ٢٠٠٠م.
- ١٨-مقدمة الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية، برنارد لويس، إدوارد سعيد، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
- ١٩-منهج المستشرق برنارد لويس في دراسة الفكر السياسي الإسلامي.
- ٢٠-موسوعة الأديان والمذاهب المعاصرة - إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي إشراف د مانع الجهني رحمه الله.
- ٢١-موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، لعبد الوهاب المسيري، مادة: كلود ليفي شتراوس.
- ٢٢-هاشم صالح، مئوية كلود ليفي ستروس، كلود ليفي ستروس والإسلام، جمعية الأوان.
- ٢٣-ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.
- ٢٤-اليهود في ظل الإسلام، برنارد لويس، ترجمة حسن أحمد بسام، دمشق ١٩٩٥م.

## المراجع الأجنبية:

- 1- Motgomery watt, Muslim – Christian – encounter Perceptions and misperceptions pp85-86.
- 2- See, Jochen hipplerm Foreign poly the Media and Western Percetion of the Middle East, in Islam, the Media, Perceptions in m <http://www.jochen-hippler.com-aufsatzes-islam.th../islam-the-media-perceptions.htm.20/2/2002>,pp,4-5..
- 3- See, Kate Zabiri, Muslims and Christians, face to Face, Oxford, England, 1997,p,1.
- 4- See, What Green Pril, in foreign affairs "Vol,72, Spring,1993.
- 5- See,<http://www.islamforoday.com/media.htm>,6/1/2003, Islam and the Western Media,p.1.
- 6- See,<http://www.mediamonitors.net/mosaddeq12htm1,30/21/2002>,